تقديم

هذه دراسة جادة، يقوم بها باحث جاد عرفته أثناء دراسته للماجستير والدكتوراه، يحاول فيها أن يناقش قضية هامة من قضايا الإسلام والمسلمين في هذا العصر، وهي علاقة الإسلام بالغرب، علاقة شقاق أم وفاق.

وقد نال الباحث على تلك الدراسة جائزة المستشار محمد شوقي الفنجري لخدمة الدعوة والفقه الإسلامي تقديرًا لما بها من جدية وعمق.

فقد تناولت الدراسة أهم المفاهيم والمصطلحات الواردة بالدراسة كالإسلام والغرب، والتعايش والعولمة، والعلاقة بين الحضارات.

ثم عرض لموقف الغرب من الإسلام عبر مراحل التاريخ المختلفة والتي كانت في معظمها مواقف صدام ،عكس موقف الإسلام من الغرب والذي ينطلق أساسًا من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات : ١٣]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ ﴾ [هود] .

إن المسلمين مطالبون شرعًا بدعوة الناس جميعًا إلى الله بدون إكراه ، ولا دعوة إلا بحسن العلاقة مع المدعو ، وحسن تقديم الدعوة إلى الناس جميعًا ، وهنا يعرض الباحث ما اشتمل عليه الإسلام من مبادئ تدعو إلى التعايش مع الآخر وحسن العشرة معه بلا شقاق ، وتقديم رؤية مستقبلية لتلك العلاقة في ظل المبادئ الإنسانية المشتركة التي تكافح البشرية من أجلها كقيم الحرية والديمقراطية والعلم والمحافظة على البيئة والتسامح واحترام حقوق الإنسان مع مناقشة بعض المسائل الخلافية التي يساء فهمها من قبل الغرب كقضية المساواة وحرية العقيدة وغيرها.

والباحث في تناوله لتلك القضايا يجيد عرض الأدلة ومناقشة الأبعاد المختلفة لها في نزاهة وموضوعية .

ولكن يبقى السؤال بالفعل: ما مدى جدية الغرب في صدق الحوار مع الإسلام والمسلمين، وكيف يكون الحوار بين من يملك القوة والعلم والثروة ومن يفتقد تلك

المقومات ؟ كيف يكون الوفاق بين من يريد أن يأخذ كل شيء وبين من لا يملك إلا الإذعان أو التعرض للغزو كما حدث في أفغانستان والعراق وغزة وغيرها من ديار الإسلام ؟ وماذا عن مراكز الدراسات والبحوث الغربية التي لا هم لها إلا دراسة كيف يتم نهب ثروات المسلمين وتزييف وعيهم؟ . ولعل مخطط أو مشروع الشرق الأوسط الكبير يُطل أبعاده السياسية والاقتصادية والتربوية هو خير مثال لذلك.

إن التعامل مع الغرب لا يقوم على مبادئ الاعتراف بالحقوق، والاعتراف بالمثل العليا ولكن على مبدأ توازن القوى ، وتحقيق المنافع. ويوم يمتلك المسلمون القوة ويستطيعون الحديث بلغة المنافع الحقيقية التي يمكن أن تهدد في حالة الاعتداء على " ديار المسلمين "، في هذا اليوم فقط يمكن أن يتفاهم هذا الغرب مع الإسلام. والغرب يفهم ذلك جيدًا ، ولذلك فهو يحول بكل قوة بين وحدة هذا العالم الإسلامي وقوته، والاستفادة من مصادر ثروته. ولعل مخطط الشرق الأوسط الكبير هو آخر صورة من صور التكامل الأمريكي الإسرائيلي الغربي مع عالمنا العربي والإسلامي.

والسؤال : هل يستطيع المسلمون بالفعل أن يرتفعوا إلى مستوى إسلامهم العظيم فيعودوا إلى وحدتهم الإسلامية الفعلية؟ وإلى استغلال مواردهم بأنفسهم ، وتحقيق مبادئ العدل والشورى في ديارهم؟ وإقامة السوق الاقتصادية الإسلامية المشتركة ، ومعاهدات الدفاع الإسلامية المشتركة؟ وقضية الدعوة الإسلامية العالمية المشتركة؟ هل يستطيع المثقفون المسلمون في كل مكان أن يقدموا لأمتهم مشاريع النهضة ومشاريع الوحدة ومشاريع مقاومة المخططات الغربية المشبوهة؟ ويوم ذاك فقط يمكن أن يتفاهم الغرب مع الإسلام والمسلمين التفاهم المثمر الذي يعود بالخير نشوة سيطرة القوة والاستيلاء والطغيان ، يخربون في الأرض ويعبثون فيها الفساد. ففي غيبة الحق لا بد أن يعلو الباطل، وفي غيبة العدل لا بد أن يعلو الظلم . فهل آن لمثقفي الأمة أن يثوبوا إلى رشدهم؟ ويعودوا إلى حقيقة إسلامهم فينقذوا الأمة وينقذوا العالم كله بهذا الإسلام العظيم؟

أرجو ذلك، والله غالب على أمره ،﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة :١٠٥] .

د/ عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

مقدمة

يعد موضوع« الإسلام والغرب شقاق أم وفاق؟» موضوع الساعة، وقضية مهمة للإسلام والمسلمين وللغرب نفسه ، بسبب التجاذ الذى بلورته سياسات تاريخية، أفرزتها تصورات خاطئة وأحكام مسبقة فى حق الإسلام والمسلمين ينبغى العمل على تجاوزها، والتغلب على مخالفتها، خدمة لطموح الإنسانية فى التعاون القائم على ضرورة احترام التنوع والاختلاف بين الحضارات، وذلك بسبب ما يتعرض له الإسلام من تحريف وتشويه من طرف بعض الحاقدين، والجاهلين به، وازدياد التعامل مع المسلمين سواء على مستوى الصراع الواقعى أو على مستوى ما تعمل مراكز البحث هنا وهناك على صياغته، كأفق محتمل لممكنات تطور الصراع القائم للعمل على تجاوزه، وبناء ما يدعم آليات التواصل والتقارب الحضارى القادر على رفع التحديات المتبادلة، ومحاولة استبدالها بمنطق جديد [١].وأسلوب جديد من التعاون والتعامل، يؤدى إلى تعميق النظر والبحث فى كثير من الجوانب التى ظلت تخضع لآليات الفهم والتحليل، بعيدة كل البعد عن طبيعة العلاقة وطبيعة الطرفين المحددين لها: الإسلام والغرب.

وإذا كانت رغبة المسلمين الصادقة لتأسيس صلتهم بالغرب قائمة على السلام والأمن والعدل والتعايش والاعتدال، والحوار والتعاون، وتبادل المنافع والمصالح، فإن الجانب الآخر – الغرب – يرمى فى الغالب إلى تغذية روح التعصب والعداء، من جراء عقدة الكراهية والحقد، بل الرغبة فى عقدة القضاء على الوجود الإسلامى، نتيجة لكتابات المتحاملين والمستشرقين أمثال فوكوياما المفكر الأمريكى الياباني الأصل، الذى يتوقع بنهاية التاريخ عند الواقع الكونى الراهن، بعد انتصار قيم الغرب الليبرالية والديمقراطية واختفاء الشيوعية، وصمويل هينتجتون الكاتب اليهودى الأمريكى الذى يتوقع تطور صدام الحضارات خلال العقدين الأول والثانى للقرن الحادى والعشرين، حيث يتجاوز النظرية التى طرحها فوكوياما[٢] .

---

(١) يوسف الكتانى: الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان: "الإسلام والغرب– الماضى – الحاضر – المستقبل" ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ص٦٧٥.

(٢) مفكر أمريكى من أصل يابانى، كتب مقالاً فى مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية (أبريل ١٩٩١) بعنوان: نهاية التاريخ، ثم نشر له كتاب بالعنوان نفسه، ترجم إلى عدة لغات عديدة عام ١٩٩٢

ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين فى تجلية الصورة المثلى للإسلام فى الغرب بإبراز حقائقه، والتعريف بتعاليمه ومبادئه السامية، القائمة على التعاون والمحبة، والتسامح بين الناس، والتعايش والاعتدال، ومساعدة الغربيين على فهم أكثر لأوضاع المسلمين، وخلفيات سلوكهم، لرفع الالتباسات وتبديد الشكوى والمخاوف، مساهمة فى بناء خطاب جديد، يعمل على فتح صفحة جديدة فى العلاقة بين الإسلام والغرب.

ولقد أفرزت الحرب الباردة مجموعة من التحولات العميقة، أعيد من جرائها تشكيل الخريطة السياسية للعالم، تبعاً للتغير الذى لحق ميزان القوى، وبانتهاء هذه الحرب بانهيار الاتحاد السوفيتى، وانفلاق جمهورياته كالحب والنوى، وتعملق الولايات المتحدة الأمريكية وحدها.

وهكذا نشأت تطورات عديدة ومتناقضة لمصير الإنسانية، على ضوء اليقظة العنيفة للقوميات، والهويات، والثقافات، وحاولت الحضارة المسيحية إنقاذ هيمنتها على العالم من التصدع، فاكتشفت أن القيم الرأسمالية وما يصاحبها من تحررية اقتصادية وسياسية ... يمكن أن تشكل مستقبل الإنسانية قاطبة، ومن هنا جاء كتاب (فوكوياما) تحت عنوان: نهاية التاريخ.

ونهاية التاريخ لدى هذا المفكر، هى نهاية الحرب الباردة، وانتصار الرأسمالية والتحررية بصورة حاسمة وأبدية على الشيوعية المنهارة . أى فى الحقيقة انتصار الغرب على الغرب؛ لأن الرأسمالية والشيوعية كليتهما ثمرة من ثمار الفكر الغربى[1] .

وبانتهاء هذه الحرب الباردة عاد الغرب إلى طرح المسألة الإسلامية على محك المناقشة والنقد والتقويم، وكان من نتائج ذلك تبدل سياسة العالم الجديد تجاه العالم الإسلامى، بل تجاه الإسلام نفسه، الذى أصبح العدو الرئيس للغرب، خاصة بعد انهيار الشيوعية، وانحسار الاشتراكية.

لقد تحول المسلمون إثر انهيار الاتحاد السوفيتى – بعد أن كانوا حلفاء الغرب – إلى عدو يسعى النظام العالمى الجديد إلى القضاء على وحدتهم واستقرارهم وحصارهم، لكونهم أصحاب عقيدة صحيحة راسخة، تحثهم على الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، كبديل

(١) أحمد القديدى: الإسلام وصراع الحضارات، ط١، كتاب الأمة، سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، مايو ١٩٩٥، ص٤٤-٤٥.

صالح للهادية المتردية التى أثبتت فشلها الذريع، وباعتبارهم أصحاب دستور إلهى خالد، يوجههم إلى الوحدة والتضامن والتآزر، ويحذرهم من قضية السقوط فى الهيمنة والتبعية، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة :١٢٠].

ولقد أصل هذا العداء للإسلام وغذاه ووجهه، تاريخ الاستعمار للعالم الإسلامى، وما بثه المستشرقون المتعصبون من آراء وأفكار خاطئة فى العقل الأوروبى، شوهت صورة الإسلام وحرفت حقائقه وتاريخه، وعملت على تكريس العداوة بين الإسلام والغرب لكي تتصادم الحضارتان، وتتنافر الأفكار والثقافات، ويكفى الإشارة هنا إلى بعض التواريخ التى تعرض لها العالم الإسلامى على النحو التالى [١] :

١٩١٦ معاهدة سايكس – بيكو لاقتسام البلدان العربية.

١٩١٧ البريطانيون يحتلون بغداد.

١٩١٧ الجنرال الإنجليزى اللنبى يحتل القدس.

١٩١٧ وعد بلفور المشؤوم بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

١٩١٨ لورانس ضابط المخابرات البريطانى يدخل دمشق مع فيصل بن الحسين.

١٩١٨ اندثار الخلافة العثمانية من كل البلدان العربية.

١٩٢٠ الفرنسيون يطردون فيصلا من سوريا، ويحتلونها، ويحتلون لبنان.

١٩٢٠ البريطانيون يعلنون الاستعمار على فلسطين وشرق الأردن والعراق.

١٩٣١ الرئيس ولسون يعلن أن من حق اليهود أن يكون لهم دولة قومية بعلم قومي ولغة قومية يعترف بها دوليًّا .

١٩٤٣ مؤتمر بلتيمور في الولايات المتحدة في عهد روزفلت الذي يؤكد حق اليهود في دولة قومية .

١٩٤٨ إعلان دولة إسرائيل واعتراف حكومة الاتحاد السوفييتي بها فور الإعلان

(١) أحمد القديدى: مرجع سابق، ص٥٩، ٦٠.

وبعده بدقائق اعتراف الولايات المتحدة – إدارة ترومان .

فالذى كان احتلالا أو انتدابا أصبح يسمى مقتضيات النظام العالمى الجديد، والذى كان تنصيراً مباشراً أصبح ينعت بالتنوير، والذى كان اسمه استعمار الشعوب المسلمة أصبح يكنّى بكنية لطيفة مستساغة هى مقاومة الأصولية، والذى كان يعرف بالقضاء على اللسان العربى أصبح اسمه الجديد: كونية الثقافة أو إنسانية المعرفة، ورأينا جنوداً من صلبنا وأبناء عمومتنا تنطلى عليهم هذه المصطلحات الجديدة، فيهبون للترويج لتلك البضاعة المغشوشة، وهم غافلون، أو أن مصالحهم الشخصية الضيقة ترتبط بالتوسع الغربى المتغطرس الفج.

ويكفى الإشارة هنا إلى توصية صدرت عن مؤسسة التراث المحافظة فى واشنطن سنة ١٩٩٧ تتعلق بما أسمته: "موضوع التهديد الإسلامى لشمال إفريقيا" تصور الفهم الخاطئ للإسلام والمسلمين، والخوف الظاهر من الصحوة الإسلامية، وهى توصيات موجهة لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة ما أسمته التوصية "بالخطر الأحمر الجديد" ويقصد به الإسلام والمسلمون . وهو نفس التصور الذى أعرب عنه "ويلى كلابس" الذى صرح بأن الأصولية الإسلامية تشكل الآن تهديداً للغرب كما فعلت الشيوعية من قبل.

وهى أفكار وتصورات تعمل على ازدياد التباعد بين الإسلام والغرب، وتدفع إلى التصادم والتنافر بين الحضارتين ،مما ينم عن الجهل بالإسلام. وهو عكس ما يتجه إليه المسلمون ويعملون له، من التعاون والتقارب بينهم وبين الغرب الذى ما انفك بعض ساسته وبابا الفاتيكان" ومفكروه يتعمدون إشعال روح الكراهية بيننا، الأمر الذى يضاعف من مسئولياتنا لبذل الجهود لتبديد ظاهرة الخوف من الإسلام وما يمكن أن يفعله فى تاريخ الإنسانية ومسارها الحضارى، وهو القاسم المشترك الذى يشكل ويوجه التيارات الفكرية والسياسية الغربية، وهو ما يدعونا إلى مضاعفة الحوار وفتح قنواته بين الإسلام والغرب على مختلف الأصعدة والمؤسسات الفكرية والسياسية والاجتماعية، لتحويل فكرة التصادم والتنافس والشقاق إلى التعاون والالتقاء والتسامح والوفاق، وذلك من أجل الغاية السامية وهى تصحيح صورة الإسلام بتبديد شكوك الغرب وتخوفه من الإسلام، ومن ثم خدمة البشرية جمعاء.

وحيث إن الإسلام كفكر تشريعى يسمو فوق حدود الزمان والمكان بما يتسم به من

خلود ومرونة وشمول وقدرة على إحداث التغير الجذرى الشامل فى كل عصر واستيعاب التغييرات وتطورات الحياة وأحداث الزمن، وحيث إن الفكر الإسلامى يستمد أصوله العامة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كل ذلك يؤكد على ضرورة التعرف على "الإسلام والغرب .. شقاق أم وفاق؟" .

وهذا الكتاب يقع في ستة فصول :

الفصل الأول : استعرضت فيه مفاهيم ومصطلحات فكرية تستدعي التوضيح والإفصاح عنها في سياق له مدلول محدد لكي تتضح الرؤية وتتسق المعاني من أجل المزيد من الوضوح، وفي هذا الفصل توضيح لبعض المفاهيم مثل : الإسلام ، الغرب، الحضارة الإسلامية ، الحضارة الغربية ، العولمة ، النظام العالمي الجديد ، حقوق الإنسان ، الحوار ، صراع الحضارات، الخطاب الديني ، التعايش .

وفي الفصل الثاني : تحديث عن موقف الغرب من الإسلام مبيناً ما الغرب؟ وموقف الإسلام من الغرب وعلاقة الغرب بالإسلام ؟، وصورة الإسلام في التراث الغربي؟ ولماذا الخوف من الإسلام ؟ أصول الخوف ومخاوف الغرب ، والنهضة الإسلامية وآفاقها ، أطاريح فوكوياما، صدام الحضارت ونهاية التاريخ، الإسلام وهواجس الغرب.

وفي الفصل الثالث : عرضت للحديث عن موقف الإسلام من الغرب مبيناً الإسلام والعلمانية، بين العولمة والعلمانية ، الإسلام والحضارة ، منطلقات الإسلام للدعوة والعالمية ، الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ، نحن والغرب، مشكلة الغرب والإسلام ، لماذا ننفتح على الغرب؟ ، ماذا نطلب من الغرب؟ ، تصحيح صورة الإسلام بالغرب .

وفي الفصل الرابع : عرضت للحوار الإسلامي للتعايش مع الغرب، مبيناً معنى الحوار وقيمته ، ومنهج القرآن في عرض الحوار ، وبينت منطلقات الحوار مع الغرب ، ودوافع الحوار وأهدافه ، وشروطه ، ووسائله ، والعوامل المؤثرة في دعم الحوار والتأكيد على ثقافة الحوار الإيجابي بين الإسلام والغرب، ومستويات الحوار ،وحوار الحضارات ، وختمت هذا الفصل برؤية مستقبلية إلى الحوار (التفاعل بين الحضارات) .

وأوردت في الفصل الخامس: الدلائل الدالة على أن الإسلامي يدعو إلى التعايش مع الآخر (عالم بلا شقاق) . وفيه تناولت : بين التدافع والصراع ، احترام وجود الآخر أم إلغاؤه ؟ تحقيق معنى قبول الآخر ، قبول من خالفك في اللون والفكر والنوع والعرق، مع ذكر أمثلة لتسامح

الإسلام مع الغرب، وعدل وإنصاف الإسلام، الإسلام وحسن العشرة، الإسلام يدعو إلى السلام، الإسلام يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، الوعي بلقاء الحضارات، وختمت هذا الفصل بالصدام: أصدام مصالح أم صدام حضارات أم صدام أديان ؟

وفي الفصل السادس والأخير : عرضت لرؤية مستقبلية للإسلام والغرب مبيناً: من أجل حوار هادف مع الغرب ، نقاط وفاق بين الإسلام والغرب ، بعض المسائل الخلافية بين الإسلام والغرب ، وختمت هذا الفصل بذكر أسباب تأخر الوفاق بين الإسلام والغرب، وآفاق بناء مستقبل مشترك للإسلام والغرب .

وأحب أن أقرر في خاتمة هذا التمهيد: أن هذا الكتاب جاء ليعطي فكرة طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب أهي شقاق أم وفاق؟ ، ولم يأت ليبلغ الغاية في ذلك ؛ لأن هذا شأن البشر، وأحب أن أصرح أيضاً بأنني لم أبلغ الغاية في بحثي ، فالكمال لله وحده ، ولكنني بذلت في ذلك جهداً ليس بالقليل ، وأسأل الله تعالى ـ أن أكون قد وفقت ، وأسأله تعالى إن كان هذا الكتاب نافعاً – أن يهيئ انتشاره في بقاع الأرض ، لينتفع به عباد الله ، مع التنويه بأن هذا البحث قد حاز على جائزة تشجيعية من وقف الدكتور/ محمد شوقي الفنجري عام ٢٠٠٧م، وأسأل الله تعالى أن ينفعني به ويثيبني عليه، ويجعله حجة لي لا عليّ في يوم لقياه ، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

الدكتور

السيد أحمد عبد الغفار

المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية - القاهرة

١٥ من شعبان ١٤٢٩هـ - ١٦ من أغسطس ٢٠٠٨م.